خطبة صلاة الجمعة 5/16/ 2025 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(من صور المحافظة على النعمة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩)﴾ [النحل: 18-19]

وقال سبحانه: ﴿. . .مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6]

عنوان خطبة اليوم:

من صور المحافظة على النعمة

أيها الإخوة:

يسبَح الإنسان في نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى، وإن من أدب العبد مع ربه المحافظةَ على هذه النعم يستمطر بذلك الزيادة وينال بذلك الدرجة.

وإليكم أربعَ صور من صور المحافظة على النعمة:

1- شكر النعمة من أهم صور المحافظة عليها:

فالشكر قيد النعم، سواء كان بالقلب أو اللسان أو الأركان، وقد كان ﷺ يجهد استطاعته في شكر نعم الله تعالى، فتراه ﷺ كثير الحمد والشكر لله والثناء عليه، فهو يحمد الله إذا قام من نوم، ويحمد الله إذا خرج من بيت الخلاء، ويحمد الله إذا ارتدى ثوباً، ويحمد الله إذا صلى، ويحمد الله إذا خطب، ويحمد الله

إذا صـــلى، ويحمد الله إذا أكل، ويحمد الله إذا شـــرب، ويحمد الله إذا رأى مُبتلَى، ويحمد الله إذا أوى إلى فراشـــه، بل إن اسمه ﷺ (أحمد) يعني أن الأنبياء جميعاً يحمدون الله، ولكنه ﷺ أكثرُ حمداً وشـــكراً فهو أحمد، و «أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ» [الدارمي]

أخرج أبو داود عن عبد الله بن غنام البياضـي رضـي الله عنه: أنَّ رسـولَ الله ﷺ قال: «مَنْ قال حين يُصـبحُ: اللَّهمَّ ما أصـبحَ بي من نعْمَةٍ، أو بأحدٍ من خَلْقِكَ، فَإِنَّها مِنْكَ وحدَكَ، لا شَـريكَ لَكَ، لَكَ الحمدُ، ولك الشُّكْرُ، فقد أدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قال مِثلَ ذلك حين يُمسْي، فقد أدَّى شُكْرَ لَيلَتِهِ».

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول إذا أَخذ مَضجَعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، وأطعمني، وســقاني، والحمد لله الذي منَّ عليَّ فأفضَـــلَ، والذي أعطاني فأجزلَ، والحمد لله على كل حالٍ، اللهم ربَّ كلِّ شيء ومَليكَهُ، أعوذُ بالله من النار».

فبَذْلُ الوسع في شكر نعمة الله هديٌ نبوي كريم في المحافظة عليها.

2- الاقتصاد في التعامل مع النعمة:

من ذلك الاقتصاد في المطعَم والمشرَب، فالتربية الإسلامية تدعو المسلم ألا يأكل إلا قصداً، ولا يُدخِل الطعام على الطعام، ولا يسرف في المباحات، اقتصاداً في نفقته، ومراعاة لصحة بدنه.

عَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَـــرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْـبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُـلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَـرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِـهِ» [رواه الترمذي].

يذهب شاب مع صديقه إلى المطعم، فيطلبان طعاماً يكفي ثلاثة أشخاص، فيأكلان حاجتهما ويتركان الباقي! هذا تضييع للنعمة..

عن عبد الله بن عمر قال: تجشَّـــأ رجل عند النَّبي ﷺ فقال له ﷺ: «كُفَّ عَنَّا جُشَـــاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» [رواه الترمذي].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ» [الطبراني في الأوسط]

وقال رسول الله ﷺ: «مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ» [رواه أحمد]

وكان النَّبي ﷺ يدعو فيقول: «أَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى» [رواه النسائي].

ومن الاقتصـاد في التعامل مع النعم الاقتصـاد في اسـتعمال الموارد الطَّبيعية: فنحن قوم مسـتخلَفون في الأرض، ومواردُها أمانةٌ بين أيدينا، ليس لنا أن نبدِّدها، أو نصرفها في غير مكانها.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاص، أَنَّ النَبِيَّ ﷺ مَرَّ بِسَـــعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّـــأُ فَقَالَ: «**مَا هَذَا السَّـــرَفُ يَا سَعْدٍ؟!**»، قَالَ: أَفِيْ الوُضُوءِ سَرْفٌ؟! قَالَ: «**نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ**» [رواه أحمد].

ومن هنا وجب الانتباه عند تركيب صـــنابير المياه في المنزل أو المســـجد أو غيرهما أن تكون صـــنابيرَ اقتصادية، فبعض الصنابير تكون فَتحتُها كبيرة، وعندما تُفتَح تتدفق منها المياه بكميات كبيرة، وهناك أنواع أخرى معالَجَة بحيث تجعل الماء يتدفق بكميات قليلة، وهذه الثانية هي الأَولى بالاختيار.

ومن الاقتصاد في استعمال الموارد الطبيعية الحفاظُ على الذهب والفضة الَّذين جعلهما الله للناس قياماً، فلا يصح تحويلهما عمّا وُضعِا له إلى استعمالات أخرى كالأواني والأدوات ونحوهما.

قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا**» [البخاري ومسلم].

3- دفْعُ الفائض لمن يحتاجه:

من صور المحافظة على النعمة دفعُ الفائض لمن يحتاجه لكيلا تُهدَر النعم أو تتعطل، أخرج النسائي عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كان له أرض فليَزرعها، فإن عَجَزَ أن يزرَعها فليمنحْها أخاه المسلمَ**».

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

(بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَـفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْـرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ**». قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) [رواه مسلم].

فالكتب المدرســية لولدك يمكن تقديمها لأخيه الأصــغر أو لقريب أو بعيد لا يجد ثمنها في العام القادم لنحافظ على النعمة ولا نبددها.

والثياب المنتهية الاســـتعمال عندك وهي زائدة عن حاجتك يمكنك بعد تهذيبها وترتيبها أن تقدمها لجارك أو قريبك أو صديقك تكن محافظاً على النعمة شاكراً لها مستحقاً زيادتها وثباتها.

4- إعادة التدوير:

تســـاهم إعادة التدوير في المحافظة على النعم، وفي إعادة التدوير يتم تحويل المادة المزهود بها إلى مادة جديدة ذات قيمة ومرغوب بها، حفاظاً على نعمة الله.

ألبسَتْ بعض السيدات ثوبَ زفافها لابنتِها يوم عرسها! واستطاعت الأم بحركة فنيّة ذكيَّة على الثوب أن تفيد منه لتجعله مناسباً لابنتها، فضلاً عن حفاظها على الثوب عشرين سنة أو يزيد.

وتصنع الأمُّ الذكية من طعامٍ أكَل منه أهل البيت حتى ملُّوه صنفاً آخر يَقبَلونه ويُقبِلون عليه، وتصلح ثياب الأولاد الكبار وتحوّلها للصغار على نحو مقبول.

إنَّ إعادة التدوير صورة قويَّة من صور المحافظة على النعمة.

أيها الإخوة:

بحفاظنا على نعم الله تعالى نستوجب مزيد فضله وكرمه، وهذه صور من صور المحافظة على النعمة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]

والحمد لله رب العالمين